مؤتمر حلقة الدراسات العربية بباريس

الأمن في الشرق الأوسط:

الثوابت والمتغيرات في ضوء الهجوم الأمريكي على إيران.

الإطار النظري:

يشكّل الخليج العربي-الفارسي أحد الركائز الأساسية في تحديد مستويات الأمن والاستقرار وشروطهما في الشرق الأوسط وفي جميع أنحاء العالم. وهو الأمر الذي تأكدّ من خلال الهجوم الإسرائيلي والأمريكي على طهران يوم 28 فبراير 2026 باعتبارها أحد أكبر منتجي الطاقة في العالم. إن تركّز المنشآت الطاقيّة والبنى التحتية لتطوير الطاقة الأحفورية في هذه المنطقة يبرر إلى حد كبير التأثير المباشر الذي ستخلّفه هذه الحرب على السلم الإقليمي عبر تهديد استقرار التوازنات الأمنية القديمة.

تمثل المنطقة كذلك مسرحا لتنازع عدد كبير من الفواعل الطائفية والأيديولوجية والسياسية ممّا يزيد في حساسيتها وهشاشتها الأمينة. وهو أمر لا يقتصر على منطقة الخليج بل يمتد إلى كل الشرق الأوسط في اليمن ولبنان والعراق وسوريا وفلسطين حيث تشكل هذه الحواضر مجالا نشطا للصراعات الطائفية وتنازع المصالح الاقتصادية والاستراتيجية. إن العاملين السياسي والاقتصادي هما اللذان سيؤثران بشكل رئيسي من خلال تداعياتهما ومظاهرهما على التوازن الهش للاستقرار في المنطقة. علاوة على ذلك فإن القضايا الدولية المتعلقة بأمن الطاقة والتنافسات الاقتصادية لم تسهم في تهدئة المنطقة. بل على العكس، ستزيد من هشاشة الخليج، وذلك في اتجاهين.

أولاً : تسعى جميع القوى الاقتصادية الدولية مثل الصين والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي... إلى ضمان انتظام إمدادات الطاقة لتلبية احتياجاتها من هذه المواد. وهو ما كان يفرض أن تضمن هذه القوى الحد الأدنى من الاستقرار الإقليمي القادر على ضمان استقرار مواقع الإنتاج وتأمين سلامة الطرق البرية والبحرية التي يتم عبرها نقل هذه المنتجات.

ثانياً : يمكن تحديد لاعبين أساسيين استفادا دون غيرهما من هذا الوضع الإقليمي فيما يخص ملف الطاقة لتحقيق مكاسب اقتصادية وجيوستراتيجية. من جهة أولى تسعى إسرائيل إلى توسيع سيطرتها ونفوذها إلى خارج حدودها خاصة بعد وصول اليمين المتطرف إلى السلطة بقيادة نتنياهو لكي تتحول إلى لاعب مركزي في منطقة المشرق العربي. وهو

السلوك الذي يفسره مشروع إسرائيل الكبرى المعلن من قبل نتنياهو وصقور إدارته اليمينة. من جهة ثانية انخرط الرئيس الأمريكي ترامب في هذا المشروع وتحول إلى حليف استراتيجي للمشروع الإسرائيلي في مهاجمة إيران دون استشارة حلفائه الأقرب وخاصة الأوروبيين. إن تقاطع المشروع الإسرائيلي مع التواطؤ الأمريكي قد أدى إلى العدوان على إيران من جهة وإلى اتساع جبهة المواجهات لتشمل كل دول الخليج وتهدد بإشعال المنطقة كاملة مع كل ما ستسجله من تداعيات خطيرة قد يصعب التحكم في مساراتها.

تتميز منطقة الخليج دون سائر الرقعة العربية بأنها كانت دوما مجالا للحضور العسكري الذي تعبر عنه القواعد الأجنبية المنتشرة في كل دول مجلس التعاون الخليجي تقريبا وصولا إلى المحيط الهندي وغرب أفريقيا. لكن هذا الحضور الكثيف لم يحقق لدول الخليج الأمن والاستقرار الذي كانت تنشده كما يحدث حاليا. إضافة إلى ذلك فإن المنطقة تتميز بتأثرها الكبير بالتوازنات الأمنية الهشة حيث يمكن لحدث صغير هنا أو هناك أن يضرب كامل استقرار المنطقة كما حدث بعد اغتيال المرشد الإيراني مثلا. حرب الخليج الأولى والثانية أدتا إلى إعادة تشكيل كاملة لموازين القوى وتوزيعها في المنطقة ولا تزال تداعياتها قائمة إلى اليوم.

إنه من المبكر التنبؤ بمخارج الحرب القائمة أو تقديم فرضيات صلبة لما سيكون عليه الأمر بعدها لكن ذلك لا يمنع من قراءة الأسس التي قام عليها الأمن والاستقرار في هذه المنطقة خلال العقود الأخيرة خاصة منذ حرب الخليج الثانية في 2003. إن قراءة الفرضيات والاحتمالات إنما يتأسس أولا على تاريخ التحولات السياسية والعسكرية في المنطقة من أجل توقع المسارات التي سيسلكها التحول الجديد. يتعلق الأمر أساسا بقراءة الثوابت والمتغيرات التي تتسبب في تحول اتجاه الأحداث وتداعياتها عبر تحديد الشروط والظروف الضرورية لذلك.

كثيرة هي العناصر والمعطيات القادرة على تأطير المسارات الوصفية والتحليلية والتأويلية المنخرطة في قراءة الظاهرة أسبابا وتداعيات. ونقصد بذلك رصد كل ما من شأنه أن يساهم في تفكيك النماذج والأنماط بناء على المعطيات داخل السياق حيث تتوفر سواء من الجانب الأمريكي أو الإيراني أو الإسرائيلي أو العربي معطيات تاريخية عديدة من شأنها إنارة الأزمة الحالية. فقد صرح مسؤولون كبار من كلا الطرفين تصريحات تعكس رؤية كل واحد منهم لمخارج الحرب وتضمنت عناصر قادرة على المساعدة في الاستقرار والتحليل والفهم.

من جهة أخرى فإن الحرب الجارية اليوم في الخليج مرتبطة ارتباطا وثيقا بالصراعات الإقليمية خاصة بتلك التي تنخرط فيها طهران أو تل أبيب. فسقوط بشار الأسد في سوريا ووصول نظام قريب من واشنطن هناك قد أضعف الحزام الإيراني في منطقة الشام وكذلك الأمر بالنسبة لاغتيال الأمين العام لحزب الله اللبناني. تضاف إلى ذلك حرب الإبادة التر ارتكبت في غزة وخلفت وراءها حصيلة بشرية ثقيلة من الجرحى والمصابين واتهام إيران بأنها داعم أساسي لحركة المقاومة حماس. إن مثل هذه الأحداث التي تضاف إليها حرب الاثني عشر يوما في 2025 تشكل امتدادات طبيعية لنفس النسق الاستراتيجي بين إيران وجيرانها.

بناء عليه فإن التصريحات الأمريكية بأن القضاء على البرنامج النووي الإيراني يمر بتغيير النظام في طهران لا تعبر عن جوهر المخطط الأمريكي والإسرائيلي المراد للمنطقة.

الإشكاليات النظرية .

1. إلى أي مدى أعاد الهجوم الإسرائيلي والأمريكي صياغة معايير الأمن والسلام وشروطهما في المنطقة ؟
2. كيف سيؤثر هذا الهجوم والردّ الإيراني على العلاقات بين الدول العربية وإيران في المستقبل؟
3. كيف سيتشكل الدور القادم للولايات المتحدة في الخليج ؟
4. هل ستحافظ دول مجلس التعاون الخليجي على نفس السياسة الأمنية ونفس الخيارات الاستراتيجية بعد هذا العدوان ؟ وما هي الهوامش الجديدة المحتملة لهذه السياسة ؟
5. ما هي المتغيرات التي ستؤثر على إعادة التوزيع المحتملة لهذه الثوابت؟ كيف ولماذا؟

المنهج :

تعتمد مقاربة هذا الموضوع على ثلاثة مناهج أساسية يمكن تفعيلها بشكل فردي أو ثنائي أو جماعي مختلط.

- الوصف : يعتمد هذا المنهج على الوصف كمّا وكيفا بهدف تبيّن الخصائص الأساسية للموضوع المطروح وتبيينها. وهو عملية تستهدف إنارة المتقبل حول مكونات الموضوع المنظور خارجيا بشكل أساسي.
- التفكيك : تعتمد هذه المقاربة على تفكيك العناصر الأساسية التي يتكون منها الموضوع سواء الهيكلية منها أو الوظيفية وعزلها. كما تهدف إلى تبيّن القوانين والقواعد والشروط التي تحكم العلاقات بين المكونات داخل البنية الواحدة.
- التأويل : تمثل ثالث مراحل العملية التحليلية وتهدف إلى إعادة تأسيس المعنى بناء على الوصف والتحليل أي بناء على العملية الأولى والثانية. كما تبحث في تقييم الفرضيات والمقدمات التي تم وضعها أو التأسيس عليها في مقدمة البحث.